□ عُلُوُّ الهمَّة في الـدُّعَـاءِ □

اعلم يا أخي أنَّ الله جعل من الدعاء عبادة وقُربى ، وأمر عباده المؤمنين بالتوجُّه إليه لينـالوا عنده منزلة رفيعةً وزُلْفى . أمَر بالدعاء ، وجعله وسيلـة الرجاء ، فكلُّ مَن خَلَقَه يفزَعُ في حاجته إليه ، ويُعوِّل عند الحوادث والكوارث عليه .

« سبحانه من لطيفٍ لم تَخْفَ عليه مضمَراتُ القلوب ، فيفصح له عنها بنطْقِ بيان ، ولم تَستَتِرْ دُونه مضمَّناتُ الغيوب ، فيُعَبَّر له عنها بحركةِ لسان ، لكنه أنطق الأَلسُن بذكْره ، لتستمرَّ على وَلَهِ العبوديَّة ، وتظهر به شـواهـدُ الربوبية .

وحقيقته : إظهارُ الافتقار إليه ، والتبرُّؤ من الحوْل والقوة . وهو سِمَة العبودية ، واستشعار الذلَّة البشريَّة ، وفيه معنى الثناء على الله ، وإضافة الجُود والكرم إليه »[(١)] .

قال تعالى : ﴿ **وإذا سأَلَكَ عبادي عنِّي فإني قريبٌ أُجيبُ دعوةَ الداعِ إذا دعانِ فلْيستجيبُوا لي ولْيؤمنوا بي لعلَّهم يَرشُدون** ﴾ [البقرة : ١٨٦] .

أَيَّةُ رقةٍ ، وأيُّ انعطافٍ !! وأَيَّةُ شفافية ، وأيُّ إيناس فوق هذا !! ألفاظٌ رقَّافة شفَّافة تُنير .. آيةٌ تسكبُ في قلبِ المؤمنِ النَّدْواةَ الحُلْوة ، والوُدَّ المؤْنِس ، والرضا المطمئن ، والثقة واليقين ، يعيش منها المؤمن في جَنابٍ رَضيٍّ وقربى نديَّة ، وملاذ أمين وقرار مكين ، وهو يدعو سيِّدَ الساداتِ الذي ليس له مِثْلٌ ولا نظير .

ولو لم يكن في الدعاء إلّا رقَّة القلب ، لكفى ؛ ﴿ **فلولا إذْ جاءَهم بأْسُنا**

(١) « شأن الدعاء » للحافظ الخطابي ١ – ٤ ، تحقيق : أحمد يوسف الدقَّاق – دار المأمون للتراث .

تضرَّعوا ولكنْ قسَتْ قلوبُهم وزيَّن لهمُ الشيطانُ ما كانوا يعملون ﴾ ، [الأنعام : ٤٣] . ولو لم يكن في فضله إلَّا هذه الآية ، لكفى ؛ ﴿ **قلْ ما يعبأ بكمْ ربِّي لولا دعاؤكم ...** ﴾ الآية ، [الفرقان : ٧٧] .

قال رسول الله ﷺ : « أفضل العبادة : الدعاء »[1] . فالدعاء تذلُّل وخضوع ، وإخبات وانطراح على سُدَّةِ الكريم . قال ﷺ : « الدعاء هو العبادة »[2] .

قال الخطَّابي : (معناه : أنه معْظَمُ العبادة ، أو أفضل العبادة ؛ كقولهم : الناس بنو تميم ، والمال الإبل ... وكقول النبي ﷺ : « الحجُّ عرَفة ») .

وقال رسول الله ﷺ:« إنَّ أبخل الناس مَن بخل بالسلام ، وأعجزَ الناس مَن عجز عن الدعاء »[3] .

وقال رسول الله ﷺ : « ليس شيءٌ أكرم على الله من الدعاء »[4] .

وقال ﷺ : « مَن سرَّه أن يستجيبَ الله له عند الشدائد والكُرَب ، فلْيكثرِ الدعاء في الرخاء »[5] .

---

(١) صحيح : رواه الحاكم في المستدرك عن ابن عباس ، وابن عدي عن أبي هريرة ، وابن سعد عن النعمان بن بشير ، وصحَّحه الحاكم ، وأقرَّه الذهبي ، وصحَّحه السيوطي ، والألباني في صحيح الجامع رقم ١١٢٢ .

(٢) رواه أحمد وابن أبي شيبة ، والبخاري في الأدب ، وأبو داود ، والنسائي ، والترمذي ، وابن ماجه ، والحاكم ، وابن حبان عن النعمان بن بشير ، وأبو يعلى عن البراء ، وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع رقم ٣٤٠٧ .

(٣) صحيح : رواه أبو يعلى في مسنده عن أبي هريرة ، ورواه ابن حبان ، وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع رقم ١٥١٩ .

(٤) حسن : رواه أحمد والبخاري في الأدب ، والترمذي ، والحاكم عن أبي هريرة وحسَّنه الألباني في صحيح الجامع ، رقم ٥٣٩٢ .

(٥) حسن : رواه الترمذي والحاكم عن أبي هريرة ، وحسَّنه الألباني في صحيح الجامع رقم ٦٢٩٠ .

ومِن عُلوِّ الهمَّة في الدعاء : أن يحافظ المرءُ على آدابه :

فيترصَّد لدعائه الأوقاتِ الشريفة ؛ كيوم عرفة من السَّنَة ، ورمضان من الأشهر ، ويوم الجمعة من الأسبوع ، ووقت السَّحَر من ساعات الليل .

وأن يغتنم الأوقات والأحوال التي يُسْتجاب فيها الدعاء ، كوقت التنزُّل الإلهي ، وفي السجود ، وأن يبيتَ على ذِكْر ، فيتعارَّ من الليل فيدعو ، وعند الأذان ، وبين الأذان والإقامة ، وعند نزول المطر ، وعند التقاء الجيوش ، وعند الإقامة ، وآخر ساعة من نهار الجمعة ، ودعاء الأخ لأخيه بظهْر الغيْب ، ودعوة المسافر والمظلوم ، ودعوة الصائم والوالد لولده ، وعدم العجَلة ، ودعاء رمضان[1] .

وأن يدعو مستقبلَ القِبْلة ويرفع يديه ، وألَّا يتكلَّف السجْعَ في الدعاء ، وأن يتضرَّع ويخشع عند الدعاء ؛ قال تعالى : ﴿ **ادعوا ربَّكمْ تضرُّعًا وخفْيَة** ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ **إنهم كانوا يُسارِعون في الخيرات ويدعوننا رَغَبًا وَرَهَبًا** ﴾ ، [الأنبياء : ٩٠] .

وأن يخفض الصوت ؛ فإنه أعظم في الأدب والتعظيم ، ولهذا لا تُخاطَب المَلوكُ ولا تُسأَل برفْع الأصوات ، ولله المَثَلُ الأعلى .

ولأنه أبلغ في التضرُّع والخشوع الذي هو رُوح الدعاء ولبُّه ومقصوده ؛ فإن الخاشع الذليل الضارع إنما يسأل مسألةَ مسكينٍ ذليل ، قد انكسر قلبُه وذلَّت جوارحُه ، وهذه الحالة لا يتأتَّى معها رفْع الصوت بالدعاء أصلًا .

ولأنه أبلغ في الإخلاص ، وأبلغ في جمعيَّة القلب على الله في الدعاء ؛ فإنَّ رفْعَ الصوت يُفرِّقه ويُشتِّته ، فكلَّما خفض الصوت ، كان أبلغ في حمده وتجريد

---

(١) ذكرتُ أدلَّة ذلك بالتفصيل في كتابي : « نداء الريَّان في فقه الصوْم وفضل رمضان » ، فصل « رمضان شهر الدعاء المستجاب » ١/٢٦٤ - ٢٦٧ طبعة أولى .

همَّته وقصْده للمدعو سبحانه وتعالى .

ولأنه دالٌّ على قرْب صاحبه من الله ، فيسأله مسألةَ القريب للقريب ، لا مسألة نداء البعيد للبعيد ، وهذا من النكَت السِّرِّيَّة البديعة جدًّا ، ولهذا أثنى الله على عبده زكريا بقوله : ﴿ إِذْ نَادَىٰ رَبَّه نِدَاءً خَفِيًّا ﴾ [مريم : ٣] .

ولأن ذلك أدعى إلى دوام الطلب والسؤال ، وإخفاء الدعاء أبعد له من القواطع والمشوِّشات والمُضْعِفات ، وأحفظ لهذه النعمة العظيمة التي ما مثلها نعمة من عيْن حاسد .. وهذا باب عظيمُ النفع ، وإنما يعرفه أهله ، وهذه فائدة شريفة نافعة .

مَن سارَرُوهُ فأبدَىٰ السِّرَّ مجتهدًا لمْ يأمنوهُ على الأسرارِ ما عاشا
وأبعدوه فلمْ يظفرْ بقربِهمُ وأبدلوهُ مكانَ الأنسِ إيحاشا
لا يأمنونَ مذيعًا بعضَ سِرِّهِمُ حاشا ودادهم منْ ذلكمْ حاشا[1]

ومن عُلُوِّ الهمَّة في الدعاء : أن يفتتح الدعاء بذكر الله والثناء عليه وأن يختمه بالصلاة على رسول الله ﷺ :

فقد قال رسول الله ﷺ : «كلُّ دعاءٍ محجوبٌ حتى يُصلَّى على النبي ﷺ»[2] .

« والأدب الباطن - وهو الأصل في الإجابة - التوبة وردُّ المظالم ، والإقبال على الله عزَّ وجل بكُنْه الهِمَّة ؛ فذلك هو السبب القريب من الإجابة » . كما يقول الغزالي . بل وتطييب المطْعَم بأكْل الحلال .

ومن عُلُوِّ الهمَّة في الدعاءِ : أن يجزِمَ بِهِ ويُوقِنَ بالإجابة ويصدقَ رجاءَه فيه :

قال رسول الله ﷺ : « ادعوا الله وأنتمْ مُوقِنونَ بالإجابة ، واعلموا أن

(١) انتهى ملخَّصًا بتصرُّف من « التفسير القيم » ٨٧ - ٨٨ .

(٢) حسن : رواه الديلمي في « مسند الفردوس » عن أنس ، والبيهقي في شعب الإيمان عن عليٍّ موقوفًا ، ورواه ابن حبان عن مُعَاذ ، وابن مخلد عن عليّ مرفوعًا ، وحسَّنه الألباني في صحيح الجامع ، رقم ٤٥٢٣ .

الله لا يستجيب دعاءً من قلبٍ غافل لاهٍ »[(١)] .

وقال ﷺ : « إذا دعا أحدُكم فلا يقلْ : اللهمَّ اغفر لي إنْ شئْتَ . ولْيعزِمِ المسألة ، ولْيعظمِ الرغبة ؛ فإنَّ الله لا يعظُمُ عليه شيء أعطاه »[(٢)] .

وقال ﷺ : « لا يقلْ أحدُكُم إذا دعا : اللهمَّ اغفر لي إن شئتَ ، اللهمَّ ارحمني إن شئتَ . فلْيعزمِ المسألة ؛ فإنه لا مُكرِهَ له »[(٣)] .

وعند البخاري ومسلم وأحمد ، عن أنس : « إذا دعا أحدُكم فلْيعزمِ المسألة ، ولا يقلْ : اللهم إن شئتَ فأعطني ؛ فإنَّ الله لا مُستكرِهِ له » .

قال سُفيان بن عُيينة : لا يمنعنَّ أحدكم من الدعاء ما يعلم من نفسه ؛ فإن الله عزَّ وجلَّ أجاب دعاءَ شرِّ الخلْقِ إبليس لعنه الله ؛ ﴿ **قال ربِّ فأنظرْني إلى يوم يبعثون قال فإنَّكَ من المنظَرين** ﴾ . [الحجر : ٣٦ - ٣٧] .

ومِن عُلُوِّ الهمَّةِ : أنْ يُلِحَّ في الدعاءِ ويكرِّره ثلاثًا :

قال ابن مسعود : « كان عليه السلام إذا دعا دعا ثلاثًا ، وإذا سأل سأل ثلاثًا »[(٤)] .

وفي صحيح مسلم ، من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه : أنَّ رسول الله ﷺ ما زال يهتف بربِّه ، مادًّا يديْه ، مستقبلَ القبلة ، حتى سقط رداؤه عن مِنْكبَيْه ، فأتاه أبو بكر فأخذ رداءه ، فألقاه على منكبيْه ، ثم التزمه من ورائه وقال : يا نبيَّ الله ، كفاكَ مناشدتُكَ ربَّك ، فإنه سيُنجِزُ لك ما وعدك .

---

(١) حسن : رواه الترمذي والحاكم عن أبي هريرة ، وحسَّنه الألباني في صحيح الجامع رقم ٢٤٥ .

(٢) رواه مسلم عن أبي هريرة ، والبخاري في الأدب عن أبي سعيد .

(٣) رواه البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة .

(٤) رواه مسلم ، وأصله متفق عليه .

« وهذا نبي الله يعقوب ﷺ ، ما زال يدعو ويدعو ، فذهب بصره واشتدَّ روعه ، وأُلقي ولدُه في الجُبّ ولا يدري عنه شيئًا ، وأُخرج الولدُ من الجُبِّ ، ودخل قصرَ العزيز ، إلى أن شبَّ وترعرع ، ثم راودته المرأة عن نفسها فأبى وعصَمَهُ الله ، ثم دخل السجن فلبث فيه بِضْعَ سنين ، ثم أُخرج من السجن ، وكان على خزائن الأرض ، ومع طول هذا الوقت كلِّه ويعقوبُ يقول لبنيه : ﴿ **يا بَني اذْهبُوا فتحسَّسوا من يُوسف وأخيه ولا تَيأسوا من رَوْح الله إنه لا ييأسُ من رَوْح الله إلا القومُ الكافرون** ﴾ »(١) .

ومن عُلُوِّ الهمَّةِ في الدعاء : أنْ يُعظِّمَ المسألة :

قال رسول الله ﷺ : « إذا تمنَّى أحدُكم فلْيُكثر ؛ فإنما يسأل ربَّه »(٢) .

وقال رسول الله ﷺ : « إذا سأل أحدُكُم فلْيكثر ؛ فإنما يسأل ربَّه »(٣) .

قال المناوي : « إذا تمنَّى أحدُكم خيرًا من خير الدارَيْن ، فلْيُكثر الأماني ؛ فإنما يسأل ربَّه الذي ربَّاه وأنعم عليه وأحسنَ إليه ، فيعظم الرغبة ويوسِّع المسألة ، ويسأله حتي شسْعَ النعل ؛ فإنه إن لم ييسِّره لا يتيسَّر ، فينبغي للسائل إكثار المسألة ولا يختصر ولا يقتصر ؛ فإن خزائن الجُود سحَّاء الليلَ والنهارَ ، ولا يُفنيها عطاءٌ وإنْ جلَّ وعظُم ، فعطاؤه بين الكاف والنون ، وليس ذا بمناقِضٍ لقوله سبحانه : ﴿ **ولا تتمنَّوا ما فضَّل الله بهِ بعضَكم على بعضٍ** ﴾ [النساء : ٣٢] .

---

(١) « من فقْه الدعاء » . لمصطفى العدوي ص ٣٥ - ٣٦ . دار السنة .

(٢) صحيح : رواه الطبراني في الأوسط عن عائشة ، ورمز السيوطي لحسنه ، قال المناوي ١/٣٢٠ : « وهو تقصير أو قصور ، وحقُّه الرمز لصحَّته ؛ فقد قال الهيثمي وغيره : رجالُه رجال الصحيح » . وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع رقم ٤٣٧ .

(٣) صحيح : رواه ابن حبان في صحيحه عن عائشة ، وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع رقم ٥٩١ .

فإن ذلك نهي عن تمنِّي ما لأخيه بغْيًا وحسدًا ، وهذا تمنٰى على الله خيرًا في دينه ودنياه ، وطلب من خزائنه ، فهو نظيرُ : ﴿ **واسألوا الله من فضلِه** ﴾ » .

وقد ذمَّ الله من دعا ربَّه الدنيا فقط ، فقال تعالى : ﴿ **فمِنَ الناسِ من يقولُ ربَّنا آتِنا في الدنيا وما له في الآخرة مِن خَلاقٍ** ﴾ [البقرة : ٢٠٠] ، وأثنى سبحانه وتعالى على الداعين بخيري الدنيا والآخرة ، فقال تعالى : ﴿ **ومنهمْ مَنْ يقولُ ربَّنا آتنا في الدنيا حسنةً وفي الآخرةِ حسنةً وقِنا عذابَ النارِ أولئكَ لهمْ نصيبٌ ممَّا كسبوا والله سريعُ الحِسَاب** ﴾. [البقرة : ٢٠١ - ٢٠٢] .

وفي صحيح البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن في الجنة مائة درجة ، أعدَّها الله للمجاهدين في سبيل الله ، ما بين الدرجتَيْن كما بين السماءِ والأرضِ ، فإذا سألتُم الله فاسألوه الفرْدوس ؛ فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة - أراه قال : وفوقه عرشُ الرحمن - ومنه تفجَّرُ أنهار الجنة » .

ومِن عُلوِّ الهمَّة في الدعاء : الدعاءُ باسمِه الأعظمِ الذي إذا دُعي بهِ أجابَ :

وأن يُسبَقَ الدعاءُ بحمدِ الله والثناء عليه وتمجيده ، والصلاة على النبي ﷺ ، ثم يدعو بما يريد ، وأن يشفع الدعاءَ بأسماءِ الله الحسنى تارة ، وبالتوسُّل إلى الله بفضله وسابِق رحمته ، أو بصالح عمله ، تارةً أُخرى .

عن بُريدة رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ سمع رجلًا يقول : « اللهمَّ إني أسألك بأني أشهد أنك أنت الله ، لا إله إلا أنت الأحد الصمد ، الذي لم يلد و لم يُولد و لم يكن له كُفُوًا أحد » ، فقال : « لقد سألتَ الله بالاسمِ الذي إذا سُئل به أَعطى ، وإذا دُعي به أجاب »(١) .

---

(١) صحيح : أخرجه أبو داود واللفظ له ، والترمذي ، وابن ماجه ، وقال الترمذي : حديث حسن . وصحَّحه سليم الهلالي في كتاب : « صحيح كتاب الأذكار وضعيفه » ٢/ ٩٤٠ ، ٩٤١ .

وفي رواية : « لقد سألتَ الله باسمه الأعظم » .

وعن أنسٍ رضي الله عنه ؛ أنه كان مع رسول الله ﷺ جالسًا ، ورجلٌ يصلِّي ، ثم دعا : اللهمَّ إني أسألك بأنَّ لك الحمد ، لا إله إلا أنت المنَّان ، بديع السماوات والأرض ، يا ذا الجلال والإكرام ، ياحيُّ يا قيُّوم . فقال النبيُّ ﷺ : « لقد دعا الله تعالى باسمه الأعظم ، الذي إذا دُعِيَ به أجاب ، وإذا سُئِل به أعطى »[1] .

ومن عُلُوّ الهِمَّة في الدعاء : حرْصُ الرجل على الدعاءِ بالأدعية الواردة في القرآن الكريم :

﴿ رَبَّنا تقبَّل منَّا إنكَ أنتَ السميعُ العليمُ ربَّنا واجعلْنا مسلمَيْن لكَ ومِن ذرِّيتنا أُمَّةً مسلمةً لكَ وأرنا مناسِكَنا وتُبْ علينا إنك أنت التوَّاب الرحيم ﴾ [البقرة : ١٢٧ - ١٢٨] .

وقوله تعالى في أواخر سورة البقرة التي نزل بها مَلَكٌ ما نزل إلى الأرض قطُّ ، وفُتِح لها بابٌ مِن السماء ما فُتح قبل يوم نزولها قطُّ : **﴿ ربَّنا لا تُؤَاخذْنا إنْ نسينا أو أخطأْنا ربَّنا ولا تحملْ علينا إصرًا كما حملتَه على الذين من قبلنا ربَّنا ولا تحَمِّلْنا ما لا طاقةَ لنا به واعفُ عنا واغفرْ لنا وارحمْنا أنت مولانا فانصرنا على القومِ الكافرين ﴾** [البقرة : ٢٨٦] .

﴿ ربَّنا آتنا في الدنيا حسنةً وفي الآخرة حسنةً وقنا عذابَ النار ﴾ [البقرة : ٢٠١] . وهي أكثر دعاء رسول الله ﷺ ، فمِن عُلُوِّ الهمَّة : الحرصُ عليها .

﴿ ربنا لا تُزغْ قلوبَنا بعدَ إذْ هديتَنا وهبْ لنا من لدنْك رحمةً إنك أنت الوهّاب ﴾ [آل عمران : ٨] .

---

(١) صحيح : أخرجه أبو داود والترمذي وابن ماجه والنسائي وأحمد والحاكم وابن حبان .

﴿ ربَّنا إنَّنا آمنَّا فاغفر لنا ذنوبنا وقنا عذابَ النار ﴾ [آل عمران : ١٦] .

﴿ ربَّنا آمنَّا بما أنزلتَ واتبعْنا الرسولَ فاكتبْنا مع الشاهدين ﴾ .
[آل عمران : ٥٣] .

ودعاء الخليل : ﴿ ربِّ اجعلني مقيمَ الصلاةِ ومِن ذرِّيَّتي ربَّنا وتقبَّلْ دعاءِ ربَّنا اغفرْ لي ولوالدَيَّ وللمؤمنين يومَ يقوم الحِسَاب ﴾ [إبراهيم : ٤٠ - ٤١] .

وأيُّ دعاء أعظم مِن دعاء يُعَلِّمه الله لنبيِّه : ﴿ ربِّ أدخلني مُدْخَلَ صدقٍ وأخرجني مُخْرجَ صِدقٍ واجعلْ لي من لدنكَ سلطانًا نصيرًا ﴾ [الإسراء : ٨٠] .

ومِن دعاء عُلاة الهِمَم من عباد الرحمن : ﴿ ربَّنا هبْ لنا من أزواجنا وذرِّيَّاتنا قُرَّة أعيُن واجعلْنا للمتقين إمامًا ﴾ [الفرقان : ٧٤] .

ودعاء نبيِّ الله موسى : ﴿ ربِّ اشرحْ لي صدْري * ويَسِّرْ لي أمْري * واحلُلْ عُقدةً من لساني * يفقهوا قولي ﴾ [طه : ٢٥ - ٢٨] .

وقوله تعالى : ﴿ ربَّنا أتمِمْ لنا نورَنا واغفرْ لنا إنك على كلِّ شيءٍ قدير ﴾ [التحريم : ٨] .. وغيرها[1] .

عالي الهِمَّة يحرصُ على هذا الدعاء الذي علَّمه الله لنبيِّه محمد ﷺ :

وهو جزء مِن حديث اختصام الملأ الأعلى ، الذي صحَّحه ابن رجب والألباني : « يا محمد ، إذا صلَّيتَ فقل : اللهم إني إسألك فعْلَ الخيرات ، وتركَ المنكرات ، وحُبَّ المساكين ، وأن تغفر لي وترحَمَني وتتوبَ عليَّ ، وإذا أردتَ بعبادِك فتنةً فاقبضْني إليكَ غيرَ مفتون » .

---

(١) راجع الآيات (الكهف : ١٠) ، (الفرقان : ٦٥) ، (الحشر : ١٠) ، (الممتحنة:٤ - ٥) ، (الأنبياء : ٨٩) ، (المؤمنون : ٩٧ - ٩٨) ، (النمل : ١٩) ، (آل عمران : ١٦ ، ١٤٧ ، ١٩٣ ، ١٩٤) ، (الأعراف : ٢٣ ، ٨٩) ، (يونس : ٨٥ - ٨٦) ، (هود : ٤٧) ، (البقرة : ٢٥٠) .

وعالي الهِمَّة يحرِص على حديثٍ يُعلِّمه النبيُّ ﷺ للصِّدِّيق الأكبر أبي بكر رضي الله عنه :

روى البخاري ومسلم ، عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما ، عن أبي بكرٍ الصِّدِّيق رضي الله عنه ؛ أنه قال لرسول الله ﷺ : علِّمني دعاء أدعو به في صلاتي . قال : « قل : اللهمَّ إني ظلمتُ نفسي ظلمًا كثيرًا ، ولا يغفر الذنوب إلَّا أنت ، فاغفرْ لي مغفرة من عندك وارحمني ، إنك أنت الغفور الرحيم » .

وأمْره ﷺ لعائشة رضي الله عنها أن تدعو بهذا الدعاء : « اللهمَّ إني أسألك من الخير كلِّه ، عاجِله وآجِله ، ما علمتُ منه وما لم أعلم ، وأسألك الجنَّة وما قرَّب إليها من قوْل أو عمل ، وأعوذُ بك من النار وما قرَّب إليها من قوْل أو عمل ، وأسألك من خير ما سألك عبدُك ورسولُك محمد ﷺ ، وأعوذ بك من شرِّ ما استعاذ بك منه عبدُك ورسولُك محمد ﷺ ، وأسألك ما قضيْتَ لي من أمر أن تجعل عاقبتَه رُشْدًا »[١] .

وعن ربيعة بن عامر رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ : « أَلِظُّوا[٢] بـ : يا ذا الجلال والإكرام »[٣] .

ويلزم الأدعيةَ المأثورة عن رسول الله ﷺ ؛ فإنه ﷺ أعلى الناس هِمَّة وأدبًا في دعائه لربِّه ، وهي كثيرة ، ومنها :

« اللهمَّ اجعلْ أوسعَ رزقك عليّ عند كِبَر سنِّي ، وانقطاع أمري »[٤] .

---

(١) إسناده صحيح : أخرجه ابن ماجه ، وابن حبان ، وأحمد ، والحاكم .

(٢) أي : الزموها وداوموا عليها .

(٣) إسناده صحيح : أخرجه أحمد ، والبخاري في التاريخ الكبير ، والحاكم .

(٤) حسن : رواه الحاكم عن عائشة ، وحسَّنه الألباني في صحيح الجامع ١٢٥٥ .

« اللهمَّ اجعلْ في قلبي نورًا ، وفي لساني نورًا ، وفي بصري نورًا ، وفي سمْعي نورًا ، وعن يميني نورًا ، وعن يساري نورًا ، ومِن فوقي نورًا ، ومن تحتي نورًا ، ومن أمامي نورًا ، ومِن خلْفي نورًا ، واجعلْ لي في نفسي نورًا، وأعظِمْ لي نورًا »[(١)] .

« اللهمَّ احفظْني بالإسلام قائمًا ، واحفظْني بالإسلام قاعدًا ، واحفظْني بالإسلام راقدًا ، ولا تُشْمِتْ بي عدوًّا حاسدًا ، اللهم إني أسألك من كلِّ خير خزائنه بيدك ، وأعوذ بِك من كلِّ شرٍّ خزائنه بيدك »[(٢)] . « اللهمَّ أحيني مسكينًا ، وأمتني مسكينًا ، واحشرني في زمْرة المساكين »[(٣)] . « اللهمَّ أصلحْ لي ديني الذي هو عِصْمة أمري ، وأصلحْ لي دنياي التي فيها معاشي ، وأصلحْ لي آخرتي التي فيها معادي ، واجعل الحياةَ زيادةً لي في كل خير ، واجعل الموتَ راحة لي من كلِّ شرٍّ »[(٤)] .

« اللهم اغفر لي خطيئتي وجهْلي ، وإسرافي في أمري ، وما أنت أعلمُ به مني ، اللهم اغفر لي خطئي وعَمْدي ، وهزْلي وجدِّي ، وكلّ ذلك عندي ، اللهمَّ اغفرْ لي ما قدَّمتُ وما أخَّرتُ ، وما أسررتُ وما أعلنتُ ؛ أنت المقدِّم وأنت المؤخِّر ، وأنت على كلِّ شيء قدير »[(٥)] .

« اللهم اغفرْ لي ذنوبي وخطاياي كلَّها ، اللهم أنعشني واجبرْني ، واهدني لصالح الأعمال والأخلاق ؛ فإنه لا يَهدي لصالحها ولا يصرف سيِّئها إلا أنت »[(٦)] .

---

(١) رواه أحمد والبخاري ومسلم والنسائي عن ابن عباس .
(٢) حسن : رواه الحاكم عن ابن مسعود ، وحسَّنه الألباني في صحيح الجامع رقم ١٢٦٠ .
(٣) صحيح : رواه عبد بن حميد وابن ماجه عن أبي سعيد ، والطبراني في الكبير ، والضياء عن عبادة بن الصامت ، وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع رقم ١٢٦٠ .
(٤) رواه مسلم عن أبي هريرة .
(٥) أخرجه البخاري ومسلم عن أبي موسى .
(٦) حسن : رواه ابن السني ، والطبراني في الأوسط والصغير ، والحاكم ، عن أبي أيوب ، وحسَّنه الألباني في صحيح الجامع رقم ١٢٦٦ .

« اللهمَّ اقسمْ لنا من خشيتك ما يحول بيننا وبين معاصيك ، ومن طاعتك ما تبلِّغنا به جنتك ، ومن اليقين ما يهوِّن علينا مصيبات الدنيا ، ومتِّعْنا بأسماعنا وأبصارنا وقوَّتنا ما أحييتَنا ، واجعلْه الوارث منا ، واجعلْ ثأرنا على مَن ظَلَمنا ، وانصرْنا على مَن عادانا ، ولا تجعلْ مصيبتَنا في ديننا ، ولا تجعلِ الدنيا أكبرَ هَمّنا ولا مبْلَغَ علْمنا ، ولا تسلِّطْ علينا من لا يرحمنا »(١) .

« اللهم إني أسألك من الخير كلِّه عاجِله وآجِله ، ما علمتُ منه وما لم أعلمْ ، وأعوذ بك من الشر كلِّه عاجله وآجله ، ما علمتُ منه وما لم أعلم . اللهم إني أسألك من خير ما سألك عبدك ونبيُّك ، وأعوذ بك من شرِّ ما عاذ به عبدُك ونبيُّك ، اللهم إني أسألك الجنة وما قرَّب إليها من قوْل أو عمل ، وأعوذ بك من النار وما قرَّب إليها من قوْل أو عمل ، وأسألك أن تجعل كلَّ قضاء قضيتَه لي خيرًا »(٢) .

« اللهم إني أسألك من فضلك ورحمتك ؛ فإنه لا يملكها إلا أنت »(٣) .

« اللهم إني أعوذ بك من العجْز والكسل ، والجبْن والبخل والهرَم ، والقسوة والغفلة والغيْلة ، والذلة والمسكنة ، وأعوذ بك من الفقر والكفر ، والفسوق والشقاق والنفاق ، والسمعة والرياء ، وأعوذ بك من الصَّمَم والبكَم والجنون ، والجُذام والبرَص وسيِّيء الأسقام »(٤) .

« اللهم آتِ نفسي تقواها ، وزكِّها أنت خير من زكَّاها ، أنت وليُّها ومولاها ، اللهم إني أعوذ بك من علْم لا ينفع ، ومن قلب لا يخشع ، ومن نفسٍ

---

(١) حسن : رواه الترمذي والحاكم عن ابن عمر ، وحسَّنه الألباني في صحيح الجامع رقم ١٢٦٨ .
(٢) رواه ابن ماجه عن عائشة ، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم ١٢٧٦ .
(٣) صحيح : رواه الطبراني في الكبير عن ابن مسعود ، وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع رقم ١٢٧٨ .
(٤) صحيح : رواه الحاكم والبيهقي في « الدعاء » عن أنس ، وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع رقم ١٢٨٥ .

لا تشبع ، ومن دعوةٍ لا يُستَجاب لها »[١] .

« اللهم إني أعوذ بك من علْمٍ لا ينفع ، وعمل لا يرفع ، ودعاء لا يُسمع»[٢] .

« اللهم إني أعوذ بك من قلب لا يخشع ، ومن دعاء لا يُسمع ، ومن نفْس لا تشبع ، ومن علْم لا ينفع ، أعوذ بك من هؤلاء الأربع »[٣] .

« اللهم إني أعوذ بك من منكَرات الأخلاق والأعمال ، والأهواء والأدواء »[٤] .

« اللهم إني أعوذ بك من يوم السُّوء ، ومن ليلة السوءِ ، ومن ساعة السوءِ ، ومن صاحب السوءِ ، ومن جار السوء في دار المقامة »[٥] .

« اللهمَّ ربَّ جبريلَ وميكائيلَ وإسرافيلَ ومحمدٍ ﷺ ، نعوذ بك من النار »[٦] .

« اللهم ربَّ جبريلَ وميكائيلَ وربَّ إسرافيل ، أعوذ بك من حرِّ النار ومن عذاب القبر »[٧] .

---

(١) جزء من حديث صحيح : رواه أحمد ، وعبد بن حميد ، ومسلم ، والنسائي ، عن زيد ابن أرقم .

(٢) صحيح:رواه أحمد ، وابن حبان ، والحاكم عن أنس ، وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع ١٢٩٥ .

(٣) صحيح : رواه الترمذي والنسائي عن ابن عمرو ، وأبو داود والنسائي وابن ماجه والحاكم عن أبي هريرة ، والنسائي عن أنس ، وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع رقم ١٢٩٧ .

(٤) صحيح : رواه الترمذي ، والطبراني في الكبير ، والحاكم عن عمٍّ زياد بن علاقة ، وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع رقم ١٢٩٨ .

(٥) حسن : رواه الطبراني في الكبير عن عقبة بن عامر ، وحسَّنه الألباني في صحيح الجامع رقم ١٢٩٩ .

(٦) حسن : رواه الطبراني في الكبير ، والحاكم عن والد أبي المليح ، وحسَّنه الألباني في صحيح الجامع رقم ١٣٠٤ .

(٧) حسن : رواه النسائي عن عائشة ، وحسَّنه الألباني في صحيح الجامع رقم ١٣٠٥

« اللهم حبِّبْ إلينا لقاءك ، وسهِّلْ علينا قضاءك ، وأقلِلْ لنا من الدنيا » .

« اللهم بعلْمِكَ الغيبَ ، وقدرتِكَ على الخلْقِ ، أحيني ما علمتَ الحياةَ خيرًا لي ، وتوفَّني إذا علمتَ الوفاة خيرًا لي . اللهم وأسألك خشيتك في الغيب والشهادة ، وأسألك كلمة الإخلاص في الرِّضا والغضب ، وأسألك القصْدَ في الفقر والغِنَى ، وأسألك نعيمًا لا ينفد ، وأسألك قرَّة عيْنٍ لا تنقطع ، وأسألك الرضا بالقضاء ، وأسألك بردَ العيش بعد الموت ، وأسألك لَذَّة النظر إلى وجهك ، والشوْقَ إلى لقائك ، في غير ضرَّاء مُضِرة ، ولا فتنةٍ مضلَّة ، اللهم زيِّنَّا بزينة الإيمان ، واجعلنا هُدَاة مهتدين »[(١)] .

« اللهم يا وليَّ الإسلامِ وأهلِه ، مَسِّكْني بالإسلام حتى ألقاك عليه »[(٢)] .

عُلُوُّ هِمَّة الكَلِيمِ مُوسَى عليهِ السَّلام في سُؤالِهِ ودعائه النبوةَ لأخيهِ هارون عليه السلام من ربِّه عزَّ وجلَّ :

لله دَرُّ الكليم !! وصلوات ربي وسلامه عليه .. يدعو الكريم عز وجل أن يَمُنَّ على أخيه بالنبوة ، واستجاب الله دعاءه ؛ قال تعالى : ﴿ **ووهبْنا لهُ مِن رحمتنا أخاهُ هارونَ نبيًّا** ﴾ [مريم : ٥٣] ، وقال تعالى : ﴿ **وأخي هارونُ هو أفصحُ منِّي لسانًا فأرسلْه معيَ رِدْءًا يصدِّقني إني أخاف أن يكذِّبون** ﴾ [القصص : ٣٤] ، وقال تعالى في دعاء موسى : ﴿ **واجعلْ لي وزيرًا من أهلي هارونَ أخي اشددْ به أزري وأشركْه في أمري** ﴾ [طه : ٢٩ - ٣٢] .

« عن عروة ، عن عائشة أنها خرجتْ فيما كانت تعتمر ، فنزلت ببعض الأعراب ، فسمعتْ رجلًا يقول : أيُّ أخٍ كان في الدنيا أنفعَ لأخيه ؟ قالوا : ما ندري . قال : والله أنا أدري . قالت : فقلتُ في نفسي : في حلفه لا يستثني ؛ إنه لَيعلم أيَّ أخٍ في الدنيا كان أنفعَ لأخيه ؛ قال : موسى حين سأل لأخيه النبوة

(١) صحيح : رواه النسائيُّ والحاكم عن عمَّار بن ياسر ، وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع رقم ١٣٠١ .

(٢) صحيح .

فقلتُ : صدق والله . قلتُ : وفي هذا قال الله تعالى في الثناء على موسى عليه السلام : ﴿ وكان عندَ الله وَجِيهًا ﴾ »[١] .

نماذجُ مِن دُعاءِ عُلَاة الهِمَم :

العلاءُ الحضرميُّ رضي الله عنه يدعو ربَّه ، فيسير بجيش المسلمينَ بأكْمَله على صَفْحةِ الماء :

وأي همَّة في الدعاء أعلى من هذا ؟! يسير بجيش المسلمين على صفحة الماء ، ولما عطشوا و لم يجدوا ماءً لوضوئهم ، دعا ربَّه ، فهطلتِ السماء كأفواه القِرَب ، ثم دعا ربَّه النصرَ للمسلمين ، وأن يُخفيَ عليهم مكان قبره ، واستجاب الله لدعائه ..

وقد مرَّ الدعاء سابقًا فليراجَعْ .

شأني أنَّ الله بعَثَ لي حماري :

عن الشعبي : أن قومًا من المهاجرين خرجوا متطوِّعين في سبيل الله ، فنفق حمار رجل منهم ، فأرادوه على أن ينطلق معهم فأبى ، فانطلق أصحابُه مرتحلين وتركوه ، فقام فتوضَّأ وصلَّى ، ثم رفع يديْه فقال : اللهمَّ إني خرجتُ من الدفينة[٢] مجاهِدًا في سبيلك وابتغاءَ مرضاتك ، وأشهد أنك تُحيي الموتي وتبعث مَن في القبور . اللهمَّ فأحي لي حماري . ثم قام إلى الحمار ، فضربه ، فقام الحمار ينفض أذنَيْه ، فأسْرَجه وألجمه ثم ركبه ، فأجراه حتى لحِقَ بأصحابه ، فقالوا له : ما شأنك ؟ قال : شأني أنَّ الله بعَثَ لي حماري[٣] .

البَراءُ بنُ مالك ، مجابُ الدعوة : يسأل ربَّه النصرَ للمسلمين ، ولنفسه الشهادة :

« لقي البراءُ المشركين وقد أوجع المشركون في المسلمين ، فقالوا له :

---

(١) تفسير ابن كثير ٥/٢٧٧ ، وتفسير ابن أبي حاتم .

(٢) مكان بين مكة والبصرة .

(٣) مجابو الدعوة لابن أبي الدنيا ص ٨٥ ، تحقيق : مجدي السيد – مكتبة القرآن .

يا براء ، إن رسول الله ﷺ قال : « إنك لو أقسمتَ على الله لأَبرَّك » ، فأقسِمْ على ربِّك . قال : أُقسم عليك يا ربِّ لَمَا منحتنا أكتافهم ، وألحقتَني بنبيِّك . فمُنِحوا أكتافَهم ، وقُتل البراء شهيدًا »[1] .

دعاءُ النعمانِ بن مُقرن بالشهادة :

وفي يوم « نهاوند » قال النعمان بن مقرن رضي الله عنه : « اللهمَّ إني أسألك أن تُقِرَّ عيني اليوم ، بفتحٍ يكون فيه عِزُّ الإسلام وذلٌّ يذلُّ به الكفار ، ثم اقبضني إليك بعد ذلك على الشهادة . أَمِّنوا رَحِمَكُمُ الله » . قال جُبير : فأمَّنا وبكينا .

رحمك الله ورضي عنك من قائد جيش !!

وفي رواية معقل بن يَسَار : قال النعمان : « إني أدعو الله عزَّ وجلَّ بدعوة ، فعزمتُ على كلِّ امرئ منكم لَمَا أمَّن عليها : اللهمَّ أعطِ اليوم النعمانَ الشهادةَ في نصْر المسلمين ، وافتحْ عليهم » . ثم حَمَلَ فكان أوَّلَ صريعٍ .

لله درُّ عبدِ الله بن جحْشٍ ، ما أعلى هِمَّته :

أخرج الطبراني عن سعد بن أبي وقَّاص رضي الله عنه : أن عبد الله بن جحش رضي الله عنه قال له يوم أُحد : ألا تدعو الله ؟ فخلَوْا في ناحيةٍ ، فدعا سعد فقال : يا ربِّ ، إذا لقيتُ العدوَّ فلقِّني رجلًا شديدًا بأسُه ، شديدًا حرده ، أقاتله ويقاتلني ، ثم ارزقني الظفَر عليه ، حتى أقتله وآخذَ سَلَبَه . فأمَّن عبد الله بن جحش ، ثم قال : اللهمَّ ارزقني رجلًا شديدًا حردُه ، شديدًا بأسهُ ، أقاتله فيك ويقاتلني ، ثم يأخذني فيجدع أنفي وأذني ، فإذا لقيتُك غدًا قلتَ : من جَدَع أنفَكَ وأُذُنك ؟ فأقول : فيك

---

(١) صحيح:رواه أبو نعيم والحاكم ، وقال : صحيح الإسناد ، ووافقه الذهبي .

وفي رسولك ﷺ . فتقول : صدقتَ . قال سعد : يا بُنيَّ ، كانت دعوة عبد الله ابن جحش خيرًا من دعوتي ، لقد رأيتُه آخر النهار ، وإنَّ أنفَهُ وأذنه لمعلَّقان في خيْط[١] .

وأخرجه الحاكم : عن سعيد بن المسيب قال : قال عبد الله بن جحش رضي الله عنه : « اللهمَّ إني أقسم عليك أن ألقى العدوَّ غدًا فيقتلوني ، ثم يبقروا بطني ، ويجدعوا أنفي وأذني، ثم تسألني: بِمَ ذاك؟ فأقول: فيك». قال سعيد بن المسيب: إني لَأرجو أن يبرَّ الله آخرَ قسَمِه كما برَّ أوَّلَه[٢] .

وانظرْ إلى عظمِ دُعاءِ الفاروقِ رضي الله عنه :

أخرج البخاري عن أسلم ، عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه : اللهمَّ ارزقني شهادةً في سبيلك ، واجعلْ موتي في بلدِ رسولك ﷺ .

وأخرجه الإسماعيلي « عن حفصة رضي الله عنها : قالت : سمعتُ عمر رضي الله عنه يقول : اللهمَّ قتْلًا في سبيلك ، ووفاةً ببلدِ نبيِّك ﷺ . قالت : فقلتُ : وأنَّى يكون هذا ؟ قال : يأْتي به الله إذا شاء »[٣] .

فانظرْ رحمك الله إلى عُلوِّ هِمَّة الفاروق في دعائه ، وحسْن ظنِّه بربِّه .

مِن دَعاءِ عبد الله بن عمر رضي الله عنهما :

كان رضي الله عنه إذا أصبح قال : « اللهمَّ اجعلني من أعظم عبادك نصيبًا في كلِّ خير تقسِمه الغداة ، ونورًا يهدي ، ورحمةً تنشرها ، ورزقًا تبسُطه،وضرًّا تكشفه ، وبلاء تَرفعه ، وفتنة ....

(١) أخرجه الطبراني ، وقال الهيثمي (٣٠٣/٩) : رجاله رجال الصحيح . وكذا أخرجه البغوي كما في الإصابة (٢٨٧/٢) ، وابن وهب ، والبيهقي ، وأبو نعيم ، واقتصر على دعاء عبد الله .

(٢) قال الحاكم : حديث صحيح على شرط الشيخين ، لولا إرسالٌ فيه . قال الذهبي : مرسل صحيح .

(٣) فتح الباري ٧١/٤ .

تصرفها »(١)

ومن دعائه على الصفا :

« اللهمَّ اعصمني بدينك ، وطاعتك وطاعة رسولك . اللهمَّ جنِّبني حدودك . اللهمَّ اجعلني ممن يحبُّك ، ويحب ملائكتك ، ويحبُّ رسلك ، ويحبُّ عبادك الصالحين . اللهمَّ يسِّرني لليُسرىٰ ، وجنِّبني العُسرىٰ ، واغفر لي في الآخرة والأولى ، واجعلني من أئمة المتقين . اللهمَّ إنك قلت : ﴿ **ادعوني استجبْ لكم** ﴾ ، وإنك لا تخلف الميعاد ، اللهمَّ إذ هديتني للإسلام ، فلا تنزعْني منه ، ولا تنزعه مني ، حتى تقبضني وأنا عليه »(٢) .

ومن دعاءِ ابنِ مسعود رضي الله عنه :

عن عبد الله : أن رسول الله ﷺ مرَّ بين أبي بكر وعمر ، وعبد الله قائم يصلِّي ، فافتتح سورة النساء يسجِّلها(٣) ، فقال ﷺ : « مَن أحبَّ أن يقرأ القرآن غضًّا كما أُنزِل ، فليقرأ قراءة ابن أمِّ عبد » . فأخذ عبد الله في الدعاء ، فجعل رسول الله ﷺ يقول : « سلْ تُعْطَ » . فكان فيما سأل : « اللهمَّ إني أسألك إيمانًا لا يرتدُّ ، ونعيمًا لا ينفدُ ، ومرافقة نبيِّك محمد ﷺ في أعلىٰ جِنان الخلْد » . فأتى عمرُ عبدَ الله يبشِّره ، فوجد أبا بكر خارجًا قد سبقه ، فقال : إنك لَسبَّاق بالخير .

وعن القاسم بن عبد الرحمٰن : أن ابنَ مسعود كان يقول في دعائه : خائف مستجير ، تائب مستغفر ، راغب راهب .

« وعن أبي الأحوص قال : سمعتُ عبد الله بن مسعود رضي الله عنه يدعو بهذا الدعاء : « اللهمَّ إني أسألك بنعمتك السابغة التي أنعمتَ بها ، وبلائك الذي ابتليتني ، وبفضلِك الذي أفضلتَ عليَّ ؛ أن تدخلني الجنة . اللهمَّ أدخلني الجنة

---

(١) أخرجه الطبراني ، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ١٠/١٨٤ : رجاله رجال الصحيح . وذكره أبو نعيم في الحلية ١/٣٠٤ .

(٢) الحلية (١/٣٠٨) .

(٣) أي : يقرؤها قراءة مفصَّلة .

بفضلِك ومنِّك ورحمتك »[١] .

ومِن دعاءِ ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما :

عن سعيد بن جبير قال : كان ابن عباس رضي الله عنهما يقول : « اللهمَّ إني أسألك بنور وجهك الذي أشرقتْ له السموات والأرض ؛ أن تجعلني في حِرْزِك وحِفْظك ، وجوارك وتحت كَنَفِك »[٢] .

وعامر بن عبد قيْس : يسأل ربَّه أن ينزع شهوةَ النساءِ من قلبه :

قال قتادة : كان عامر بن عبد قيْس يسأل ربَّه أن ينزع شهوة النساء من قلبه ، فكان لا يُبالي:أذكرًا لقيَ أمْ أنثي[٣] .

والربيع بن خُثيم يدعو بدعاءٍ يُدمي القلوبَ :

قال الفُضيل بن عِياض : كان الربيع بن خُثيم يقول في دعائه : « أشكو إليك حاجة لا يَحسُن بثُّها إلَّا إليك ، وأستغفر منها وأتوب إليك »[٤] .

وابن المسيِّب يسأل ربَّه السلامة :

عن عبد الرحمن بن حرْملة : كان سعيد يُكثر أن يقول في مجلسه : اللهمَّ سلِّمْ سلِّمْ .

ومن دعاء المذنبين :

قال الشعبي : خطَب عبد الملك ، فقال : اللهمَّ إنَّ ذنوبي عِظام ، وهي

---

(١) رواه الطبراني ، ورجاله رجال الصحيح كما قال الهيثمي في المجمع (١٨٥/١٠) .

(٢) رواه البزار ، ورجاله رجال الصحيح كما قال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٨٤/١٠) .

(٣) ترجمته في السير ١٥/٤ - ١٩ .

(٤) الحلية ١٠٩/٢ .

صِغار في جنبْ عفوك يا كريم ، فاغفرْها لي .

ومن دعاء سعيد بن جُبَيْر :

عن سعيد بن جبير قال : التوكُّل على الله جِماع الإيمان . وكان يدعو : اللهمَّ إني أسألك صِدْق التوكُّل ، وحسنَ الظنِّ بك .

ومُطَرّف بن عبد الله : يسأل ربَّه الرِّضا :

كان رحمه الله يقول : اللهمَّ ارضَ عنَّا ، فإن لم ترضَ عنَّا فاعفُ عنا ؛ فإن المولى قد يعفو عن عبده وهو عنه غير راضٍ .

وكان رحمه الله يقول : « اللهمَّ إني أعوذ بك من شرِّ السلطان ، ومن شرِّ ما تجري به أقلامهم ، وأعوذ بك أن أقول بحقٍّ أطلب به غيرَ طاعتك ، وأعوذ بك أن أتزيَّن للناس بشيءٍ يَشينُني عندك ، وأعوذ بك أن أستعين بشيء من معاصيك على ضُرٍّ نزل بي ، وأعوذ بك أن تجعلني عِبْرة لأحد من خلقك ، وأعوذ بك أن تجعل أحدًا أسعدَ بما علمته مني ، اللهمَّ لا تخْزني فإنك بي عالم ، اللهمَّ لا تعذِّبني فإنك عليَّ قادر »[(١)] .

ومحمد بن واسع يدعو ربَّه :

عن حمَّاد بن زيد قال : « كنا نجلس إلى محمد بن واسع ، فكان يقول : اللهمَّ إنَّا نعوذ بك من كلِّ رزْقٍ يُباعدنا منك ، طهِّرْنا من كلِّ خبيث ، ولا تسلِّط علينا الظَّلَمَة »[(٢)] .

وبكر بن عبد الله المزني لا يَدَعُ هذا الدعاءَ :

عن المبارَك بن فُضالة قال : سمعتُ بكر بن عبد الله المزني يدعو بهذا الدعاء -

---

(١) الحلية ٢/٢٠٧ .

(٢) الحلية ٢/٣٥٣ .

لا يَدَعُه - : اللهمَّ افتحْ لنا من خزائن رحمتك رحمة لا تعذِّبنا بعدها أبدًا في الدنيا والآخرة ، ومن فضلك الواسع رزقًا حلالًا طيِّبًا لا تُفقرنا بعدَه إلى أحدٍ سِواك أبدًا ، تزيدنا لك بهما شكرًا وإليك فاقةً وفقرًا ، وبك عمَّن سواك غنًى وتعفُّفًا(١) .

والجرَّاح مقدّمُ الجيوش ، وفارسُ الكتائب : يدعو الله له ولإخوانه بالشهادة ، فنالوها جميعًا :

لله درُّكَ أبا عقبة الجرَّاح الحكمي !!

« قال سليم بن عامر : دخلتُ على الجرَّاح ، فرفع يديه ، فرفع الأُمراء أيديهم ، فمكث طويلًا ، ثم قال لي : يا أبا يحيىٰ ، هل تدري ما كنَّا فيه ؟ قلتُ : لا ، وجدتُكم في رغبة ، فرفعتُ يدي معكم . قال : سألنا الله الشهادة . فوالله ما بقي منهم أحدٌ في تلك الغزاة حتى استُشهد »(٢) .

أبو معاوية الأسود : والعجَبُ العُجَاب في قصَّته ودعائه :

هذا الولُّي الذي قال عنه الذهبي في السير (٩/ ٧٨) : « مِن كبار أولياء الله . صحِبَ سفيان الثوري وإبراهيم بن أدهم ، وغيرهما ، وكان يُعَدُّ من الأبدال .

قيل : إنه ذهب بصرُه ، فكان إذا أراد التلاوة في المصحف أبصر بإذن الله .

قال أحمد بن فضيل العكي : غزا أبو معاوية الأسود ، فحضر المسلمون حصنًا فيه عِلْجٌ لا يرمي بحجَرٍ ولا نشَّاب إلا أصاب ، فشكوا إلى أبي معاوية ، فقرأ: ﴿ **وما رميتَ إذْ رميْتَ ولكنَّ الله رمىٰ** ﴾ [الأنفال : ١٧]،استُروني منه . فلمَّا وقف قال : أين تريدون بإذن الله ؟ قالوا : المذاكير . فقال : أي ربِّ ،

---

(١) الحلية ٢/ ٢٢٥ .

(٢) السير ٥/ ١٨٩ - ١٩٠ .

قد سمعتَ ما سألوني فأعطِني ذلك . بسم الله . ثم رمى المذاكير فوقع » .

لله درُّك من وليٍّ ... ترمي وأنت ضرير،فتصيب من عدوِّك المذاكير .

أبو بكر بن عيَّاش ودعاؤه الجميل :

عن بِشْر بن الحارث : سمع أبا بكر بن عيّاش يقول : « يا مَلَكَيَّ ادْعُوَا الله لي ، فإنكما أطوعُ لله مني » ..

ولجمالها لا تحتاج إلى تعليق !!

زين العابدين علي بنُ الحسين رضي الله عنهما ، ودعاءٌ من بيت النبوَّة :

كان زيْن العابدين يقول : « اللهمَّ إني أعوذ بك أن تُحسِّن في لوائح العيون علانيتي وتقبِّح في خفيَّات العيون سريرتي . اللهمَّ كما أسأتُ وأحسنتَ إليّ ، فإذا عُدتُ فعُدْ عليَّ » .

قال زيد بن أسلم : كان من دعاء عليّ بن الحسين : « اللهمَّ لا تكِلْني إلى نفسي فأعجز عنها ، ولا تكلْني إلى المخلوقين فيضيِّعوني » .

الوليُّ النَّباجِيُّ مجابُ الدعوة ، القدوة العابد الربَّاني ؛ أبو عبد الله سعيد بن بريد :

« له كلام شريف ومواعظ .

عنه قال : لو جُعلَتْ لي دعوة مجابَة ما سألتُ الفردوس ، ولَكنتُ أسأل الرضا ، فهو تعجيل الفردوس .

قال ابن بكر : سمعتُ النباجي يقول : ينبغي أن نكون بدعاء إخواننا أوثق منَّا بأعمالنا ، نخاف في أعمالنا التقصير ، ونرجو أن نكون في دعائهم لنا مُخلصين »[1].

---

(١) السير ٩/٥٨٦ .

طلقُ بنُ حبيب ودعاؤهُ العجيب :

كان رحمه الله يقول في دعائه : « اللهمَّ إني أسألك علْمَ الخائفين منك ، وخوْفَ العالمين بك ، ويقينَ المتوكّلين عليك ، وتوكُّل الموقنين بك ، وإنابة المُخْبتين إليك ، وإخبات المُنيبين إليك ، وشكْرَ الصابرين لك ، وصبرَ الشاكرين لك ، ولحاقًا بالأحياء المرزوقين عندك »(١) .

أيُّوب السّخْتياني : يدعو الله مرافقةَ نبيِّه ﷺ :

كان رحمه الله يدعو بدعاء القرآن ، ويؤمِّن مَن خلفَه ، وآخر ذلك يصلِّي على النبي ﷺ ويقول : اللهمَّ استعملْنا بسنَّةِ نبيِّنا ، وتوفَّنا على مِلَّته ، وأوزعْنا بهدْيه ، وارزقنا مرافقته ، وعَرِّفْنا وجهه في رضوانك والجنة . اللهمَّ خذْ بنا سبيله وسنته ، نعوذ بك أن نُخالف سبيلَه وسُنَّته . اللهمَّ أقرَّ عينه بمن يتبعه مِن أُمَّته ، واجعلنا منهم ، وأورِدْنا حوْضه ، واسقنا مشربًا رويًّا لا نظمأ بعده أبدًا . اللهمَّ ألحقْنا بنبيِّنا غير خَزايا ولا نادمين ، ولا خارجين ولا فاسقين ، ولا مبدِّلين ولا مرتابين ، واجعلنا من الذين أنعمتَ عليهم من النبيِّين والصِّدِّيقين والشهداء ، وحسُن أولئك رفيقًا .

وكان من دعائه في تطوُّع رمضان : « اللهمَّ أسألك الإيمان وحقائقه ووثائقه ، وكريم ما امتننتَ به من الأخلاق والأعمال ، التي نالوا بها منك حسْنَ الثواب ، اللهمَّ اجعلني ممن يتقيك ويخافك ، ويستحييك ويرجوك ، اللهمَّ استرْنا بالعافية » .

عطاء السليميّ :

كان رحمه الله يقول في دعائه : « اللهمَّ ارحمْ غربتي في الدنيا ، وارحم

---

(١) السير ٤/٦٠٢ .

مصرعي عند الموت ، وارحم قيامي بين يديك »[١] .

موسىٰ الكاظِمُ رحمه الله ؛ الإمام القدوة السيد :

« دخل - رحمه الله - مسجد رسول الله ﷺ ، فسجد سجدة في أول الليل ، فسُمِع وهو يقول في سجوده : عظُمَ الذنب عندي فلْيَحْسُن العفو من عندك ، يا أهل التقوى ويا أهل المغفرة.فجعل يردِّدها حتى أصبح »[٢] .

عُتْبةُ الغلامُ : يدعو ربَّه أنْ يحشرَه مِن حواصل الطُّيُور ، واستجاب الله دعاءَه :

قال رياح القيسي : بات عندي عتبة الغلام ، فسمعته يقول في سجوده : « اللهمَّ احشرْ عتبة من حواصل الطيرْ وبطونِ السِّبَاع » .

لله درُّه من غلامٍ رَهَّاب ؛ « إذا جنَّ الليلُ لبِسَ المَسُوحَ ، وغلَّ نفسَه ، وناجىٰ مولاه قائلًا : احشرني من حواصل الطيور . فاستجاب الله دعاءَه ، ولقيَ ربَّه شهيدًا ، وأكلتِ الطيورُ لحمَه »[٣] .

وعوْن بن عبد الله بن عتبة : عالي الهمَّة في الدعاء :

كان يقول في دعائه : « اجعلْ طاعتك همِّي ، وقوِّ عليها جسدي . وسَخِّ نفسي عن الدنيا واشغلني بما ينفعني ، وباركْ لي في قواها حتى ينقضي مني حالي . وامنُنْ عليَّ وارحمني ، حين تُعيد بعدَ اللّقا خلْقي . ومن سوء الحساب فعافني ، يوم تبعثني فتحاسبني . ولا تُعرضْ عني ، يومَ تعرضني بما سلف من ظلْمي وجرْمي . وآمني يومَ الفزَع الأكبر ، يوم لا تهمُّني إلا نفسي . وارزقني نفْعَ عمل ، يومَ لا ينفعني عملُ غيري . وكما مننتَ عليَّ بالإسلام فامنن عليّ بطاعتك ، وبترْك معاصيك أبدًا ما أبقيتني. ولا تفضحني بسرائري ، ولا تخذلْني بكثرة فضائحي .

---

(١) السير ٦/٨٦ .

(٢) السير ٦/٢٧٠ .

(٣) صفة الصفوة ٤/٢٠٠ .

سبحانك خالقي ، أنا تائب إليك فاقبل توبتي واستجبْ دعائي ، وارحمْ شبابي ، وأقلني عَثْـرتي ، وارحمْ طولَ عَبْرتي ، ولا تفضحني بالذي قد كان منـي . سبحانك خالقي ، أنت غِياث المُسْتغيثين ، وقرَّة أعين العابدين ، وحبيب قلوب الزاهـدين ، فإليك مستغاثي ومنقطعي ، فارحمْ شبابي ، واقبلْ توبتي ، واستجبْ دعوتي ، ولا تخذلْني بالمعاصي التي كانت مني . ولا تجعلني لنـار جَهنَّـمَ وقودًا ، بعد توحيدي وإيماني بك » .

ورادُ العجليّ ودعاؤه في السَّحَر :

كان رحمه الله يبكي في مجلس وعْظ ابن ذرٍّ ، فيقول له ابن ذرٍّ : ما الذي قصّر بنا ؟ وكَلَمَ قلبَه حتى أبكاه ، والله إنْ هذا يا أخا بني عجلٍ إلَّا من صفاء قلبك وتراكم الذنوب على قلوبنا .

« قالت أختُه : كان إذا كان السَّحَر – أو قريب من طلوع الفجر – سجد ثم بكى ، ثم قال : (مولاي ، عبدك يحبُّ اجتناب سُخْطك ، فأعنه على ذلك بمنّك أيُّها المنَّان . مولايَ ، عبدك عظيم الرجاء لخيرك ، فلا تقطعْ رجاءه يوم يفرح الفائزون).فلا يزال كذلك حتى يصبح »[(١)] .

شعوانةُ وعُلُوُّ هِمَّتها في الدعاء :

« كانت – رحمها الله – تقول : إلهي ، ما أشوقني إلى لقائك ، وأعظم جزائي لجزائك ، وأنت الكريم الذي لا يخيب لديك أمل الآملين ، ولا يبطل عندك شوْق المشتاقين . إلهي ، إن كان دنا أجلي ولم يُقَرِّبني منك عملي ، وقد جعلتُ الاعتراف بالذنب وسائل عللي ، فإن عفوتَ فمَن أولى منك بذلك ؟! وإن عدلت فمَن أعدلُ منك هُنالك ؟! إلهي ، قد جرتُ على نفسي بالنظر لها ، وبقي لها حسن نظرك ، فالويل

---

(١) صفة الصفوة ٣/١٦٢ .

لها إن لم تُسْعِدها . إلهي ، إنك لم تزلْ بي بَرًّا أيَّام حياتي ، فلا تقطع عني بِرَّك بعد مماتي ، ولقد رجوتُ ممَّن تولَّاني في حياتي بإحسانه أن يسعفني عند مماتي بغفرانه . إلهي ، كيف أيأس من حسْن نظرك بعد مماتي ، ولم تولِّني إلا الجميل في حياتي . إلهي ، إن كانت ذنوبي قد أخافتني ؛ فإنَّ محبَّتي لك قد أجارتني ، فتولَّ من أمري ما أنت أهلُه ، وعُدْ بفضلك على من غرَّه جهلُه . إلهي ، لو أردتَ إهانتي لَمَا هديتَني ، ولو أردتَ فضيحتي لم تسترْني ، فمتعْني بما له هديتَني ، وأدمْ لي ما بهِ سترتَني »[1] .

الواعظُ البرُّ عمرُ بنُ ذرٍّ :

قال كثير بن محمد : « سمعتُ عمر بن ذرٍّ يقول : اللهمَّ إنا أطعناك في أحبِّ الأشياء إليك أن تطاع فيه : الإيمان بك والإقرار بك ، ولم نعصِكَ في أبغض الأشياء أن تُعصىٰ فيه : الكفر والجحْد بك . اللهمَّ فاغفرْ لنَا بينهما ، وأنت قلتَ : ﴿ وأقسموا بالله جَهْدَ أيْمانِهم لا يَبعث الله مَن يموت ﴾ [النحل : ٣٨] ، ونحن نُقسِمُ بالله جَهْدَ أيْماننا لَتَبْعَثنَّ مَن يموت ، أفتراك تجمع بين أهل القَسَمَيْن في دار واحدة »[2] .

عبدُ الله بنُ المبَارَك : يدعو الله للحَسَنِ بن عيسىٰ أن يُسْلِمَ ، فاستجاب الله له :

قال الحاكم : « حدَّثنا الحافظ أبو علي النيسابوري عن شيوخه : أن ابن المبارك نزل مرة برأس سكة عيسىٰ ، وكان الحسن بن عيسىٰ يركب فيجتاز به وهو في المجلس ، وكان مِن أحسن الشباب وجهًا ، فسأل ابنُ المبارك عنه ، فقيل : هو نصراني . فقال : اللهمَّ ارزقْه الإسلام . فاستُجيب له .

قال أبو العباس السرَّاج : حدَّثنا الحسن بن عيسىٰ مولى عبد الله بن المبارك ،

---

(١) عودة الحجاب للشيخ محمد إسماعيل ٣٠١/٢ .
(٢) السير ١٨٥/٦ .

وكان عاقلًا : عُدَّ في مجلسه بـ « باب الطاق » اثنا عشر ألف محبرة »[١] .

هذه دعوة ابن المبارك المباركة .. يُسْلِم على أثرها الإمام المحدِّث ، الثقة الجليل : أبو علي الحسَن بن عيسىٰ بن ماسَرْجس .

يحيىٰ بنُ معاذ الواعِظ :

كان رحمه الله يقول في مناجاته في الليل : « اللهمَّ إن خطيئتي تُعذِّبني ، وتوبتي تُذوِّبني ، فعيشتي طولَ دهري بين تعذيبٍ وتذويب » .

وكان يقول : « واسَوْأتاه منك ، إذا شاهدتَني وهمَّتي تسبق إلى سواك ، أم كيف لا أضنى في طلب رضاك »[٢] .

وكان يقول : « يا منْ أقام لي غرْس ذكري ، وأجرىٰ لي أنهارًا تجري ، وجعل لي أيام عيدٍ في اجتماع الورىٰ ، وأقام لي فيهم أسواق التقوى ؛ أقبلتُ إليك معتمدًا عليك ، ممتلِئَ القلب من رجائك ، ورطْبَ اللسان من دعائك ، في قلبي من الذنوب زَفَرات ، ومعي عليها ندامات ، إن أعطيتَني قبلتُ ، وإن منعتَني رضيتُ ، وإن تركتَني دعوتُ ، وإن دعوتَني أجبتُ ، فأعطني إلهي ما أريد ، فإن لم تُعطني ما أريد ، فصبِّرْني على ما تريد »[٣] .

وقال رحمه الله : « طوبىٰ لعبد أصبحتِ العبادة حِرْفته ، والفقر مُنْيتَه ، والعزْلة شهوتَه ، والآخرة هِمَّته ، وطلبُ العيش بُلْغَته ، وجعَلَ الموتَ فِكْرتَه ، وشغل بالزهد نيَّتَه ، وأمات بالذلِّ عزَّتَه ، وجعل إلى الربِّ حاجته ، يذكر في الخَلَوات خطيئته ، وأرسل على الوَجْنة عَبرته ، وشكا إلى الله غُرْبته ، وسأله بالتوبة رحمته ، طوبىٰ لمن كان ذلك صفتَه ، وعلى الذنوب ندامته ، جَئَّار الليل والنهار ،

(١) السير ١٢/٢٧ .
(٢) الحلية ١٠/٥٦ .
(٣) الحلية ١٠/٦٦ .

وبكّاء إلى الله بالأسحار ، يناجي الرحمٰن ، ويطلب الجِنان ، ويخاف النيران »[(١)] .

الواعظُ الزاهدُ : عَزيزِي بنُ عبدِ الملكِ بن منصور ؛ أبو المعالي ، الملقَّبُ بـ : « شَيْذَلَه »[(٢)] :

قالت شُهدة بنت أحمد بن الفرج : سمعتُ القاضي الإمام عزيزي بن عبد الملك من لَفظه - في سنة تسعين وأربعمائة - يقول : « اللهمَّ يا واسعَ المغفرة ، ويا باسطَ اليديْن بالرحمة ، افعلْ بي ما أنت أهلُه . إلهي ، أذنبتُ في بعض الأوقات ، وآمنتُ بك في كلِّ الأوقات ، فكيف يغلب بعضُ عمري مُذنبًا جميعَ عمري مؤمنًا ؟! إلهي ، لو سألتَني حسناتي لَجعَلتُها لك مع شِدَّة حاجتي إليها ، وأنا عبد ، فكيف لا أُرجو أن تهَبَ لي سيئاتي مع غِناك عنها ، وأنت ربٌّ ؟! فيا مَن أعطانا خير ما في خزائنه ، وهو الإيمان به قبل السؤال ، لا تمنعْنا أوسعَ ما في خزائنك ، وهو العفو مع السؤال . إلٰهي ، حُجَّتي حاجتي ، وعُدّتي فاقتَي ، فارحمني . إلٰهي ، كيف أمتنع بالذنب من الدعاء ، ولا أراك تمتنعُ مع الذنب من العطاء ؟! فإنْ غفرتَ فخيرُ راحم أنت ، وإن عذَّبتَ فغيرُ ظالمٍ أنت . إلٰهي ، أسألك تذلُّلا ، فأعطني تفضُّلا »[(٣)] .

الإمامُ الزاهدُ ، مجابُ الدعْوَةِ : العمادُ المقدِسيُّ :

قال عنه الضياء المقدسي : « كان إذا دعا كأن القلب يشهدُ بإجابة دعائه ؛ من كثرةِ ابتهاله وإخلاصه » .

ومن دعائه المشهور : « اللهمَّ اغفرْ لأَقْسَانا قلبًا ، وأكبرِنا ذنبًا ، وأثقلنا ظَهْرًا ، وأعظمنا جرْمًا » .

---

(١) الحلية ١٠/٥٨ .

(٢) ترجمته في السير ١٩/١٧٤ - ١٧٥ .

(٣) طبقات الشافعية للسبكي ٥/٢٣٧ .

وكان يدعو : « يا دليل الحيارىٰ ، دُلَّنا على طريق الصادقين ، واجعلْنا من عبادك الصالحين »[١] .

الزاهد القدوة : الشيخ عبد العزيز بن أحمد الدّميريّ الدِّيرينيّ :

كان من دعائه ومناجاته رحمه الله : « إلٰهي ، عرَّفتَنا بربوبيتك ، وغرَّقْتَنا في بحار نعمتك ، ودعوتَنا إلى دار قُدْسك ، ونعَّمتَنا بذكْرِكَ وأُنسِك . إلٰهي ، إن ظلمة ظُلْمِنا لأنفسنا قد عمَّتْ ، وبحارَ الغفلة على قلوبنا قد طمَّتْ ، فالعجز شامل ، والحصر حاصل ، والتسليم أسلم ، وأنت بالحال أعلم . إلهي ، ما عصيناك جهْلًا بعقابك ، ولا تعرُّضًا لعذابك ، ولكن سوَّلتْ لنا نفوسُنا ، وأعانتْنا شقْوَتُنا ، وغرَّنا سترُك علينا ، وأطمعنا في عفوك برُّك بنا ، فالآن مِن عذابك مَن يستنقذُنا ؟! وبحبل مَن نعتصمُ إن قطعتَ حَبْلَك عنَّا ؟! واخجلتَنا من الوقوف غدًا بين يديْك !! وافضيحتنا إذا عُرضتْ أعمالنا القبيحة عليك !! اللهمَّ اغفر ما علمتَ ، ولا تهتكْ ما سترتَ . إلهي ، إن كنَّا عصيناك بجهْل ، فقد دعوناك بعقل ؛ حيث علمنا أنَّ لنا ربًّا يغفر الذنوب ولا يُبالي »[٢] .

شيْخُ الدِّيَار المصرية الزاهدُ ؛ أبو الفيْضِ ذو النُّونِ المصريُّ : أُنموذَجٌ عَطِرٌ لعُلُوِّ الهِمَّةِ في الدُّعَاء والمُنَاجَاة :

كان رحمه الله يقول في دعائه ومناجاته : « إلٰهي ، وسيلتي إليك : نعمُكَ عليَّ ، وشفيعي إليك : إحسانُك إليَّ . اللهمَّ إليك تُقصد رغبتي ، وإيَّاك أسأل حاجتي ، ومنك أرجو نجاح طلْبتي ، وبيدك مفاتيحُ مسألتي ؛ لا أسأل الخيرَ إلَّا منك ، ولا أرجوه من غيرك ، ولا أيأس من رَوْحِك بعد معرفتي بفضلك . يا مَن جمَع كلَّ شيءٍ حِكْمته ، ويا مَن نفذ في كلِّ شيءٍ حُكْمُه ، يا مَن الكريمُ

(١) ترجمته في السير ٢٢/٤٧ - ٥٢ .

(٢) طبقات الشافعية ٨/٢٠٠ .

اسمُه ؛ لا أحدَ لي غيرك فأسأله ، ولا أثق بسواك فآمله ، ولا أجعل لغيرك مشيئة من دونك أعتصم بها ، وأتوكَّل عليه ، فمَن أسأل إنْ جهلتُك ؟! وبمَن أثقُ بعد إذْ عرفتُك ؟! اللهمَّ إنَّ ثقتي بك ، وإنْ ألهتْني الغفلاتُ عنك وأبعدتْني العَثَرات منك بالاغترار . أنا نعمة منك أجري في نِعَمِك ، لا أزداد على سابقةِ عِلْمك ، ولا أنتقصُ من عزيمة أمْرك ، فأسألك يا منتهى السؤالات ، وأرغبُ إليك يا موضع الحاجات ، سؤال مَن قد كذَب كلّ رجاء إلَّا منك ، ورغبة مَن رغِب عن كلِّ ثقة إلَّا عنك - أن تهبَ لي إيمانًا أقدمُ به عليك ، وأوصلُ به عِظم الوسيلة إليك ، وأن تهب لي يقينًا لا توُهِنُه بشبهةِ إفْكٍ ، ولا تهنه خَطْرة شكٍّ ، تُرحب به صدري ، وتُيسِّر به أمري ، ويأوي إلى محبَّتك قلبي ، حتى لا ألهو عن شكْرك ، ولا أنعم إلا بذكْرك . يا من لا تملُّ حلاوةَ ذكْرِه ألسنُ الخائفين ، ولا تكِلُّ من الرغَبات إليه مدامِعُ الخاشعين ، أنت منتهى سرائر قلبي في خفايا الكَتم ، وأنت موضع رجائي بين إسراف الظلْم ، مَن ذا الذي ذاق حلاوة مناجاتك فلَها بمرضاةِ بَشَرٍ عن طاعتك ومرضاتك؟! يا من يُعصى ويُتاب إليه ، فيرضى كأنه لم يُعصَ ، بكرمٍ لا يُوصَف ، وتحنُّنٍ لا يُنعَت . يا حنَّانُ بشفقته ، يا متجاوزًا بعظمته ، لم يكن لي حوْل فأنتقل عن معصيتك إلا في وقتٍ أيقظتني فيه لمحبَّتك . خضعتُ لك وخشعتُ لك - إلهي - لِتُعِزّني بإدخالي في طاعتك ، ولِتنظرَ إليَّ نظَرَ مَن ناديتَه فأجابك ، واستعملتَه بمعونتك فأطاعك . يا قريبُ ، لا تبعدْ عن المغترِّين . يا وَدود ، لا تعجلْ على المذنبين » .

« وقال محمد بن يوسف : كان ذو النون يقول في مناجاته : يا واهبَ المواهب ومجزِلَ الرغائب ، أعوذ بك من النزول بعد الوصول ، ومن الكَدَر بعد الصَّفَا ، ومن الشوْق بعد الأُنس ، ومن طائف الحسرة لعارض الفترة ، ومِن تغيُّر الرضا ، ومن التخلُّف عن الحادي لحظةً ، أو الإيمان دون العلم ، ومن موقعِ حَذَر يُوجب للعقل بطئًا - ياربِّ - حتى تكملَ النعمُ عندي ، ورقِّ في ذُرى الكرامة مُهجتي ، ونضِّر اللهمَّ بالكمال لديك بَهجتي ، وعزِّفني عن

الدون ، ووارِ عِلْمي عن الخاطر . يا مَن منَح الأصفياءَ منازلَ الحقِّ ومدى الغايات ، أصْفِ هدايتي من دَنَس العارض واحسمْ عدوِّي عن ملاحظتي ، وأخلصني بكمال رغبتي وبما لا يبلغه سؤالي ؛ إنك رحيم ودود »(١) .

« وعن سعيد بن عثمان قال : سمعتُ ذا النون يدعو : اللهمَّ متِّعْ أبصارنا بالجوَلَان في جلالك ، وَسهِّرْنَا عَمّا نامت عنه عيونُ الغافلين ، واجعلْ قلوبنا معقودة بسلاسل النور ، وعلِّقْها بأطناب التفكُّر ، ونزِّه أبصارنا عن سرِّ مواقف المتحيِّرين ، وأطلقْنا من الأسر لِنجولَ في خدمتك مع الجوَّالين . اللهمَّ اجعلنا من الذين استعملوا ذكر قطْع اللذَّات ، وخالَفوا متاع الغرَّة بواضحات المعرفة . اللهمَّ اجعلْنا من الذين لخدمتك في أقطار الأرض لهم طُلَّابا ، ولخصائص أصفيائك أصحابًا ، وللمريدين المعتكفين ببابك أحبابًا . اللهمَّ اجعلْنا من الذين غسَلوا أوعية الجهل بصفو ماءِ الحياة في مسالك النعيم ، حتى جالتْ في مجالسِ الذكْر مع رطوبة ألسنةِ الذاكرين . اللهم اجعلْنا من الذين رتعوا في زهرة ربيع الفهْم حتى تسامت أسنية الفكرة فوق سموِّ السموِّ ، حتى تسامىٰ بهم نحو مسامِّ العلويين براحات القلوب ، ومستنبطات عيوب الغيوب بطول استعفار الوجوه في محاريب قدْسِ رهبانية الخاشعين ، حتى لاذت أبصار القلوب بجواهر السماء ، وعبرت أفنية النوَّاحين من مَصافِّ الكروبيِّين ومجالسة الروْحانيِّين ، فتوهَّموا أنْ قدْ قرب احتراقٌ بالقلوب عند إرسال الفكرة في مواقع الأحزان بين يديك ، فأحرقتْ نارُ الخشية بصائرَ مناقبِ الشهوات من قلوبهم ، وسكنتْ خوافي ضلوعِ مضايقِ الغَفَلات من صدورهم ، فأنبتَ ذكْرُ الصلوات رُقادَ قلوبهم »(٢) .

« وقال سعيد بن عثمان : سمعتُ ذا النون يقول : إلٰهي ، إن كان صغر في جنْب طاعتك عملي ، فقد كبُر في جنب رجائك أملي . إلهي ، كيف أنقلبُ مِن

---

(١) الحلية ١٠/٣ .
(٢) الحلية ٩/ ٣٥٨ - ٣٥٩ .

عندك محرومًا وقد كان حسْن ظنّي بك منوطًا ؟! إلٰهي ، فلا تُبطلْ صِدْقَ رجائي لك بين الآدميِّين . إلٰهي ، سمِع العابدون بذكْرك فخضعوا ، وسمِع المذنبون بحسْن عفوك فطمعوا . إلٰهي ، إن كانت أسقطَتْني الخطايا من مكارم لُطْفك ، فقد آنسني اليقين إلى مكارم عطْفك . إلهي ، إن أمَّنتْني الغفْلة من الاستعداد للقائك ، فقد نبَّهتْني المعرفة لكرمِ آلائك . إلهي ، إن دعاني إلى النار أليمُ عقابك ، فقد دعاني إلى الجنة جزيلُ ثوابك »[1] .

وقال ذو النون رحمه الله : « اللهم اجعلْنا من الذين استظلُّوا تحت رواق الحزن ، وقرءوا صحف الخطايا،ونشروا دواوين الذنوب ، فأورثهم الفِكَرَ الصالحةَ في القلب . اللهمَّ واجعلْنا من الذين أدَّبوا أنفسَهم بلذَّة الجوع ، وتزيَّنوا بالعلم ، وسكنوا حظيرة الورَع ، وغلَّقوا أبواب الشهوات ، وعرفوا مسيرَ الدنيا بموقناتِ المعرفة ، حتى نالوا عُلُوَّ الزهد فاستعذبوا مذلَّة النفوس ، فظفروا بدار الجلال ، وتواسوا بينهم بالسلام . واجعلْنا من الذين فتقْتَ لهم رتْقَ غواشي جفونِ القلوب ، حتى نظروا إلى تدبير حكمتك وشواهد حُجَجِ تبيانك ، فعرفوك بموصولِ فِطَن القلوب ، فرقيتْ أرواحُهم عن أطراف أجنحة الملائكة ، فسمَّاهم أهلُ الملكوت : زُوَّارًا ، وأهلُ الجبروت : عمَّارًا . وتردَّوا في مصافِّ المسبِّحين ، ولاذوا بأفنية المقدسين ، فتعلَّقوا بحجاب العزَّة ، وناجَوْا ربَّهم عند مُطارفة كلِّ شهوة ، حتى نظروا بأبصار القلوب إلى عِزِّ الجلال ، إلى عظيم الملكوت ، فرجعتِ القلوب إلى الصدور على الثيابِ بمعرفةِ توحيدك ؛ فلا إله إلا أنت »[2] .

« وقال أبو عثمان سعيد بن عثمان : سمعتُ ذا النون أبا الفيض يقول : اللهمَّ اجعلْنا من الذين تفكَّروا فاعتبروا ، ونظروا فأبصروا ، وسمعوا فتعلَّقتْ قلوبهم بالمنازَعة إلى طلب الآخرة ، حتى أناخت وانكسرت عن النظر إلى الدنيا وما فيها ،

---

(١) الحلية ٩/٣٨٥ .

(٢) الحلية ٩/٣٨٣ .

ففتقوا بنور الحكم ما رتقهُ ظلْم الغفلات ، وفتحوا أبواب مغاليق العمىٰ بأنوار مفاتيح الضياء ، وعمَّروا مجالس الذاكرين بحسْن مواظبة استيدام الثناء . اللهمَّ اجعلْنا من الذين تراسلت عليهم سُتورُ عِصْمة الأولياء ، وحَصَّنتَ قلوبَهم بطهارة الصفـاء ، وزيَّنْتَهـا بالفهم والحياء ، وطيَّرتَ هموَمهم في ملكوت سمواتـك حجابًا حتى تنتهيَ إليك ، فرددتَها بظرائف الفوائد . اللهمَّ اجعلْنا من الذين سهُل عليهم طريـقُ الطـاعة ، وتمكَّنوا في أزمَّة التقوى ، ومُنحـوا بـالتوفيق منـازلَ الأبرار ، فزُيِّنوا وقُرِّبوا وكُرِّموا بخدمتك .

وسمعتُه يقول : لك الحمد يا ذا المنِّ والطَّوْل والآلاءِ والسَّعَة . إليك توجَّهنـا ، وبفنائـك أنخنـا ، ولمعروفك تعرَّضنا ، وبقُرْبك نزلنا . يـا حبيبَ التائبين ، ويا سرورَ العابدين ، ويا أنيسَ المنفردين ، ويا حِرْزَ اللَّاجِّين ، ويا ظهْرَ المنقطعين ، ويا مَن حبَّبَ إليه قلوب العارفين ، وبه أُنِستْ أفئدة الصِّدِّيقين ، وعليه عطفَتْ رهبةُ الخائفين . يا من أذاق قلوبَ العابدين لذيذَ الحمْد ، وحلاوة الانقطاع إليه . يا مَن يقبل مَن تاب ويعفو عمَّن أناب ، ويدعو المُولِّين كرَمًا ويرفع المقبلين إليه تفضُّلا . يا مَن يتأنَّى على الخاطئين ، ويحلُم عن الجاهلين ، ويا من حلَّ عقدة الرغْبة من قلوب أوليائه ، ومحا شهوة الدنيا عن فكْر قلـوبِ خاصَّته وأهل محبَّته ، ومنحهم منازلَ القرْب والولاية . ويا من لا يُضَيِّع مطيعًا ، ولا ينسىٰ صبيًّا . يا مَن منح بالنوال ، ويا مَن جادَ بالاتِّصال ، يا ذا الذي استدرك بالتوبة ذنوبَنا ، وكشف بالرحمة غُمومَنا ، وصفح عن جُرْمنا بعد جهْلنـا ، وأحسن إلينا بعد إساءتنا ، يا آنسَ وحشتنا ويا طبيبَ سقمنا ، يا غِياث مَن أُسقِطَ بيده ، وتمكَّن حبْلُ المعاصي وأسفر خِدْرُ الحيا عن وجهه ، هبْ خدودَنا للتراب بين يديْك ، يا خيرَ مَن قدَر ، وأرأف مَن رحِم وعفا »[١] .

---

(١) الحلية ٩/٣٣٥ - ٣٣٦ .

« وقال سعيد بن عثمان : سمعتُ ذا النون يقول : أسألك باسمك الذي ابتدعتَ به عجائبَ الخلْق في غوامض العلم ، بجود جلال جمالِ وجهك في عظيم عجيب تركيب أصنافِ جواهر لغاتها ، فخرَّتِ الملائكة سُجَّدًا لهيبتك من مخافتك ؛ أن تجعلَنا من الذين سرحت أرواحُهم في العلى ، وحطَّتْ هِمَمُ قلوبهم في مغلبات الهوى ، حتى أناخوا في رياض النعيم ، وجَنَوْا من ثمار التسليم، وشربوا بكأس الحب، وخاضوا لُجَج السرور ، واستظلُّوا تحت فناء الكرامة . اللهمَّ اجعلْنا من الذين شربوا بكأس الصَّفَا ، فأورثهم الصبر على طول البَلَا ، حتى تولَّيْتَ قلوبهم في الملكوت ، وجالت بين سرائر حُجُب الجبروت ، ومالت أرواحُهم في ظلِّ بردِ نسيمِ المشتاقين ، الذين أناخوا في رياض الراحة ومعدن العزِّ وعَرَصَات المخلَّدين »[(١)] .

ومناجاةٌ لذي النُّونِ تُكْتَبُ بأحرُفٍ من نورٍ :

« قال عبد القدُّوس الشاشي : سمعتُ ذا النون المصري يقول : إلٰهي ، ما أُصغي إلى صوت حيوان ولا حفيف شجر ولا خرير ماء ، ولا ترنُّم طائر ولا تنعُّم ظلٍّ ولا دوي ريح ولا قعقعة رعد ؛ إلَّا وجدتُها شاهدةً بوحدانيتك ، دالَّةً على أنه ليس كمثلك شيء ، وأنك غالب لا تُغلَب ، وعالم لا تجهل ، وحليم لا تَسْفَه ، وعدلٌ لا تجور ، وصادق لا تكذب . إلهي ، فإني أعترف لك اللهمَّ بما دلَّ عليه صُنعُك ، وشهد لك فعْلُك ، فهبْ لي اللهمَّ تطلُّبَ العزيمة إليك ؛ لأنَّ مَن لم يُشبعه الوُلوعُ باسمك ؛ ولم يروه من ظَمَئِهِ وُرودُ غُدرانِ ذكْرك ، ولم يُنسِهِ جميعَ الهموم رضاهُ عنك ، ولم يُلهِهِ عن جميع الملاهي تعداد آلائك ، ولم يقطعه عن الأنس بغيرك مكانه منك - كانت حياته مِيتةً ، وميتَتُه حسرةً ، وسروره غُصَّة ، وأنسه وحشة . إلٰهي ، عرِّفْني عيوبَ نفسي ، وافضحْها عندي لأتضرعَ

---

(١) الحلية ٩/٣٣٦ .

إليك في التوفيق للتنزُّه عنها ، وأبتهل إليك بين يديك خاضعًا ذليلًا في أن تغسلني منها ، واجعلني من عبادك الذين شَهِدَتْ أبدانُهم وغابت قلوبهم ؛ تجول في ملكوتك وتتفكَّر في عجائب صُنْعك ، ترجع بفوائد معرفتك وعوائد إحسانك ، قد ألبستَهم خُلَعَ محبتك ، وخلعتَ عنهم لباس التزيُّن لغيرك . إلٰهي ، لا تتركْ بيني وبين أقصى مرادك حجابًا إلَّا هتكتَه ، ولا حاجزًا إلَّا رفعتَه ، ولا وَعرًا إلا سهَّلته ، ولا بابًا إلَّا فتحتَه ، حتى تقيم قلبي بين ضياء معرفتك ، وتُذيقني طعْمَ محبَّتك ، وتُبرد بالرضا منك فؤادي وجميع أحوالي ، حتى لا أختار غير ما تختاره ، وتجعل لي مقامًا بين مقامات أهل ولايتك ، ومضطربًا فسيحًا في ميدان طاعتك . إلهي ، كيف أسترزق مَن لا يرزقني إلَّا من فضلك ؟! أم كيف أسخطك في رضا مَن لا يقدر على ضرِّي إلَّا بتمكينك ؟! فيا من أسأله إيناسًا به وإيحاشًا مِن خلقه ، ويا من إليه التجائي في شدَّتي ورجائي ، ارحمْ غربتي ، وهبْ لي من المعرفة ما أزداد به يقينًا ، ولا تكلْني إلى نفسي الأمارةِ بالسُّوء طَرْفة عيْن »[(١)] .

لله درُّ الخليفة العباسي القادر بالله ، الذي يعرف مقادير الرجال حين يقول عن ذي النون المصري : « إذا ذُكِرَ الصالحون ، فحيَّهَلا بذي النون » .

« وقال - رحمه الله - : إلٰهي ، لك تسبِّحُ كلُّ شجرة ، ولك تقدِّس كلُّ مدَرَة ، بأصوات خفية ، ونَغَماتٍ زكيَّة . إلهي ، قد وقفتُ بين يديك قدمي ، ورفعتُ إليك بصري ، وبسطتُ إلى مواهبك يدي ، وصرخ إليك صوتي ، وأنت الذي لا يُضجره النِّدَا ، ولا تُخَيِّبُ مَن دعاك . إلهي ، هبْ لي بصرًا يرفعه إليك صِدْقه ؛ فإنَّ من تعرَّف إليك غيرُ مجهول ، ومَن يلوذ بك غير مخذول ، ومن يبتهج بك مسرور ، ومَن يعتصم بك منصور »[(٢)] .

(١) الحلية ٩/٣٤٢ - ٣٤٣ .
(٢) الحلية ٩/٣٤٩ .

« وقال - رحمه الله - : إلٰهي ، إن أهل معرفتك لما أبصروا العافية ، ولمحوا بأبصارهم إلى منتهى العاقبة ، وأيقنوا بجودك وكرمك وابتدائك إيَّاهم بنعمك ، ودللتَهم على ما فيه نفعُهم دونك ، إذ كنتَ متعاليًا عن المضارِّ والمنافع - استقلُّوا كثير ما قدَّموا من طاعتك ، واستصغروا عظيم ما اقترفوا من عبادتك ، واستلانوا ما استوعرَه غيرُهم ، بذلوا المجهود في طلب مرضاتك ، واستعظموا صِغر التقصير في أداء شُكْرك ، وإن كان ليس شيءٌ من التقصير في طاعتك : بذْلُ المجهود صغيرًا كان عندهم ، فنحلتْ لذلك أبدانُهم ، وتغيَّرت ألوانهم ، وخلَتْ من غيرك قلوبهم ، واشتغلتْ بذكرك عقولُهم وألسنتُهم ، وانصرفت عن خلقك إليك همومهم ، وأنِست وطابت بالخلوة فيك نفوسُهم ، لا يمشون بين العباد إلّا هوْنًا ، وهم لا يسعَوْن في طاعتك إلا رَكْضًا . إلهي ، فكما أكرمتَهم بشرف هذه المنازل ، وأبحتَهم رِفْعةَ هذه الفضائل ؛ اعقدْ قلوبنا بحبْلِ محبَّتك ، ثم حوِّلْنا في ملكوتِ سمٰواتك وأرضك ، واستدرِجْنا إلى أقصىٰ مرادك درجةً درجةً ، واسلُكْ بنا مسلك أصفيائك منزلةً منزلةً ، واكشفْ لنا عن مكنون علمِكَ حجابًا حجابًا ، حتى تنتهي إلى رياض الأُنْس ، وتجتني من ثمار الشوْق إليك ، وتشرب من حِياضِ معرفتك ، وتتنزَّه في بساتين نشْر آلائك ، وتستنقع في غدران ذكر نعمائك ، ثم اردُدْها إلينا بطرف الفوائد ، وامددْها بتُحَف الزوائد ، واجعلِ العيون منا فوَّارة بالعَبَرات ، والصدور منا محشوَّة بالحرقات ، واجعلْ قلوبَنا من القلوب التي سافرت إليك بالجوع والعطش ، واجعلْ أنفسنا من الأنفس التي زالتْ عن اختيارها لهيْبتك ، أحيِنا على طاعتك ، وتوفَّنا إذا توفيتَنا على مِلَّتك ، راضِين مرضيِّين ، هُداةً مهدِيِّين مهتدين ، غيرَ مغضوب علينا ولا ضالِّين »(١) .

ونختم بما قال - رحمه الله - : « إلٰهي ، لو أصبتُ موئلًا في الشدائد غيرك ،

(١) الحلية ٩/٣٦٧ - ٣٦٨ .

أو ملجأً في المنازل سواك ، لَحقّ لي أن لا أُعرض إليه بوجهي عنك ، ولا أختاره عليك ؛ لِقديم إحسانك إليَّ وحديثِهِ ، وظاهرِ مِنَّتك عليَّ وباطِنها ، ولو تقطَّعتُ في البلاد إربًا إربًا ، وانصبَّتْ عليَّ الشدائد صبًّا صبًّا ، ولا أجد مشتكًى غيرك ، ولا مفرِّجًا لما بي عني سواك ، فيا وارث الأرض ومن عليها ، ويا باعث جميعِ مَن فيها ، ورِّثْ أملي فيك مُنىٰ أَمَلي ، وبلِّغْ همِّي فيك منتهىٰ وسائلي »[1] .

* * *

(١) الحلية ٩/٣٥١ .